ان متهره كانت مرعية عند الهنود عموما انها فى درجة عالية من الطهارة والتقديس وانها
بيت الهنود مرمى الشرف والاحترام وعلى حسب ما هو مذكور فى آيين اكبرى ان كافة الاراضى
والجهات المحيطة بها على مسافة ٤٨ كوس = ٩٦ ميل معدودة مقدسة ولا يمكن للعقل حصر
ثروتها واموالها وزخرفها وكانت مقرا للقديم لعائلة يادو الزاهرة وتزورها
الملوك والاولياء والزوار من عصور مديدة ويكومون فيها خزاين وذخاير واموال تحصى
ولا تحصر قال فرشته ان محمود الرجل الكاسر فى الحرب المفتخر بتدميره وخرابه المداين المقدسة
والمبانى الدينية الهندية اندهش وانشرح صدره واستغرب مما شاهد من جمال وعظم
سمو هذه المدينة الكبيرة وكثرة ما فيها من الهياكل والمعابد والمزارات وكثرة الهدايا و
التقدمات المجلوبة اليها من الجهات القاصية الهندية ومضى فيها على الدوام الزيوت النقية
ومعطرة بالروايح العطرية الغالية القيمة وامتلا بدنه بالفرح عند ما بلغه اخبار ثروة
متهره وكثر اموالها فوجه زحفه المدمر عليها والجيش الضعيف المهين الذى جمع راجا دلهى
لحمايتها اذ انها كانت من قديم الزمن معهود محافظتها وحمايتها اليه فما اجراه هذا الراجا
من اعمال المدافعة عنها كان على غير طايل واشتعلت نار الحمية الاسلامية فى قلب محمود
وعسكره بخصوص هدم وتكسير الاصنام الهندية واستحوازهم على المعادن الكريمة المصنوعة
منها هذه التماثيل وسار محمود وعسكره بحركة لا توقف ولا تردد الى ان وصلوا وسط هذه
المدينة الكبيرة المقدسة فما قابلهم ادنى مقاومة الا قليلا وكانت معابدها وهياكلها
فوق كل درجة عالية عبرتها عموم المعابد والهياكل الموجودة فى هذا الاقليم الخصب العامر
واستحوذ محمود فى الحال على كافة الاموال والذخاير التى لا تحصى ولا راى امثالها
فى الهندوستان فى غاراته السابقة وما كان فى قلوب عسكره شى سوى الافعال المزعجة
والاهوال والتدميرات المرجة وتدمير كل شى مقدس غالى القيمة فى عاصمة مقدسة خالية
عن الذنوب والجرايم مأوى ناس من العالم معظمهم قسس ورهبان ما ليس لهم سلاح
الا الاعتكاف على العبادة والصلاة وما لهم فى سلامة حياتهم ونجاة ارواحهم مولهة
نحو الخالق الاكبر الذى لا يعرفه فى سماه قال غيليوم يونس ان الاناث الهندوستان
فى حالة خشوع لكريشنه وسيرهن على حسب اقواله ورواياته وشريعته ولهن شغف
وحب كبير فى هذا الاله وكانت متهره الارض التى نشأ فيها الكريشنه الرقص المقدس
للجوبيين وهن شع نساء من اجملهن ولا شك ان عموم اهل المدينة كانوا فى زحام
مع تلك النسوة الفاتنات المنتخبات للرقص المقدس من اشراف العايلات ومعروفات
باسم قينات الصنم فكان صراخهن وعويلهن وندبهن مع تغيير حالهن وزعيق القسس
والرهبان مع الغضب وسوء الحال فى وسط الشوارع والحارات بشان تكسير اصنامهم
ومحاربيهم زيادة جسيمة فى الاهوال والمصايب التى حصلت فى هذه الحالة وفى مدة
ما كانت الف كرة مشغولة بالسلب والنهب فى داخل هذه المدينة الواسعة كان محمود
مشتغلا مع فرقة من منتخبى عسكره فى نهب المعابد والباجودات وحرق البعض
وكسر البعض من التماثيل العديدة والصور الكثيرة التى كانت فى داخل الهياكل وكانت
كميات الاموال والذخاير التى حازها محمود من مدينة متهره كبيرة جدا فانه بخلاف
ما نهبه من السرايات والاماكن الخصوصية كان فى هياكلها الخمسة خمسة اصنام ضخمة
من الذهب الاحمر اعينها مرصعة باصناف الجواهر اعينها من الزمرد الاحمر كل عين
من هذه العيون قيمتها خمسون الف دينار ووجد على صنم آخر قطعة من الزمرد
الازرق وزنها اربعماية مثقال ولما صار تسبيح الصورة بلغ وزنها ٩٨٣٠٠
مثقال من الذهب النقى وغير ذلك وجد ما يفوق عن ماية صنم من الفضة قال فرشته
ان هذه الاموال والذخاير وسبايك الذهب والفضة كانت حمل ماية جمل فقط واحد
واقام محمود فى متهره عشرين يوما وفى اثناء اقامته فى المدينة شبت فيها نار على حين
غفلة اما الغرض او لشى مجهول فدمرت قسما كبيرا من المدينة وكانت سببا فى زيادة
وقوع المصايب والضرر بسكانها المرعوبين ثم سار من متهره الى بعض قلاع موجودة
فى هذا الاقليم بعضها قاوم مع الشدة مدة من الزمن ثم سلم فى آخر الامر وبعضها
سلم بمجرد الطلب وبعضها اكتفى ان يشترى حياته بتقديم مبالغ جسيمة من النقود وعدد
كبير من الفيلة وذكر فرشته اثنان او ثلاثة من هذه القلاع فقال ان محمود سار الى

الى قلعة ابراهم فتحها عنوة وبثبتوا ولما عرفوا انهم لا طاقة لهم به استسلموا ولم ينج منهم
الا الشريد ثم سار نحو قلعة اسى فهرب صاحبها وتغلب عليها محمود ثم سار الى قلعة
شرده فما فاز بها نقل صاحبها جندراى ماله وخيوله الى جبال منيعة يحتمى بها وحمى
جنده فلم يدر اين هو فنازل محمود حصنه وافتتحه وغنم ما فيه وسار فى طلب جندراى
جريدة وقد بلغه خبره فلحق به فما ناله فقتل اكثر جند جندراى واسر كثيرا منهم وغنم ما معه
من مال وفيل وهرب جندراى فى نفر من اصحابه فنجا ولما انتقلت بهذه الاعمال الاحمال
النفيسة من الجواهر والذهب التى حملها محمود فوق ظهور فيلته وجماله عطف على التدريج
فى سيره مع البطء من طريق لاهور الى غزنه وكان حصول هذه الوقايع فى سنة ٤٠٧ من
الهجرة ولما وصل غزنه فتحت الخزاين والاحمال والبضايع والادوات التى جلبها السلطان
براها اهل سكان غزنه حانت دهشت ابصار الناس وعقولها من رؤية المواد النفيسة
واصناف الجواهر الثمينة والتحف والالطاف الجليلة التى ما سبق لها نظير فى الفتوحات
السابقة وكان الضباط والعساكر فى ازدحام كبير مع اسراهم واثقال احمالهم من سبايك
الذهب والفضة التى قبضوها زيادة عن كل ما حازه نفس السلطان ولما تولد من سرعة توزيع
هذه الاموال الكثيرة فى داخل المدينة ارتقاء غزنة الى اقصى درجات المجد والثروة فوق
رؤس شامخات مداين آسيا وبنيت الجوامع والمساجد والزوايا والاربطة والحمامات
والخانات والسرايات والاسواق وشيدت مجارى توصيل المياه فى كل خط من اخطاطها
المدينة وبذل السلطان مجهوده وصرف مصاريف واسعة من قسم الاموال التى حازها فى
كونه شيد شكرا لله سبحانه وتعالى مسجدا جليلا ظريفا من احجار الرخام والصوان
وفرش ارضه بافخر البسط واجل مفروشات اقوال الهند وفارس الممكن تشغيلها فيها
وزينه بشمعدانات من الذهب واصناف الزينات والزخارف الثمينة المكلفة و
قناديل الذهب والفضة حتى اشتهر فى كافة جهات آسيا باسم عروسة السما وكان
محمود تماما شاعرا محب للعلم واهله فابتنى بالقرب من جامعه من الاموال الهندية
مدرسة جامعة ودار كتب نافعة جمع فيها كافة اصناف الكتب على اختلاف انواعها و
لغاتها وكان من جملتها كتب نفيسة مخصوصة بالحكمة والتواريخ الهندية فقدت فى عصور
مضت مع فقدان المدينة ودمارها وما كان الذى فقد اصناف الكتب فقط بل واصناف
اشغال اخرى غريبة الصنعة دقيقة العمل صنعها رجال لهم دراية تامة وزكاوة كاملة
فى اشغالها ووظف محمود معلمين واساتذة فى المدرسة الجامعة من كل صنف من اصناف
العلوم وجعل لهم مرتبات كافية تقوم بمعاشهم وحياة القسهم وكذا للشبان من الطلبة
الذين يشتغلون عندهم العلوم وما كان محمود يصرف فى هذا الكرم والسخا على هذه المدرسة
وتمييزها الا جزء قليل من الكنوز والاموال التى جمعها من ارض الهند وكانت مقادير هذه
الاموال والجواهر التى لا تحصى تاخذ فى الزيادة الكبيرة فى كل عز وتاو غارة جديدة يجريها
محمود على البلاد الهندية

ولما رن صدى الاعمال والفتوحات التى آتاها محمود للاسلام فى كافة الممالك والجهات والاراضى
الاسلامية صار تدوين هذه الاعمال الجليلة وقدمت الى الخليفة فى بغداد فامر بقراءتها علنا
على المسلمين فى مساجد بغداد وجوامعها وارسل اليه الهدايا والخلع ومنشورا بعهد خراسان
وما بيده من الممالك ولقبه نظام الدين وكان من قبل ملقب بيمين الدولة وقيل فى محل
آخر انه لما وصلت اخبار صيته واستمرار فتوحاته فى الهندوستان وظفراته وتقريبه على
عباد الاوثان كان لها وقع جليل عند الخليفة القادر بالله وعمل لها يوم عيد مشهور اقيمت
فيه احتفالات المسرات والابهة جاءت فى بغداد ولقبه الخليفة بالقاب عالية القدر والشرف
ومن ثم اظهر محمود فى سنة ١٠٢١ بعد الميلاد شكر ما انعم الخليفة به عليه من الاجلال والاكرام
وارسل جيشا تحت قيادة امير قواده من اجل تنظيف وفتح الطريق الموصل الى مكة والمدينة
وكانت قفلت من مدة طويلة بواسطة البدو من قبايل الصحارى فكانوا يقتلون حجاج
بيت الله الحرام وزوار قبر نبيه عليه الصلوة والسلام وينهبون القوافل والتجارات وما كان
فى طاقة الخلافة اخمادها فكتب الخليفة بذلك الى محمود فمن ثم سارع فى زوال ما كان بها من
المضار وقطع دابر قطاع السبل ومهد السبيل وفتح المجارى والبارى والزوار والحجاج ثم ان
عقل محمود وافكاره تشتت من جهات مكة والمدينة نحو الهندوستان وشرع فى اجراء غزوته

Copyright © King Saud University